

أخبار الأدب

السبت 6 من يوليو 2008 - م 3 من رجب 1429 هـ - العدد 782

رحبة

قمة الترجمة

د. أحمد زكريا الشلق

مؤرخنا الكبير رؤوف عباس اشهر من ان نعرف به فهو علم من اعلام المؤرخين المصريين وصاحب مدرسة في التاريخ الاجتماعي لمصر الحديثة، كما ان جوانب عطائه العلمي والثقافي اكبر من ان يحتويها هذا المقال الذي سوف يقتصر علي جانب واحد من جوانب عطائه الثري لهذا الوطن الذي احبه واعطاه جهده وعمره في غير مزايدة أول من تشهد بذلك مؤلفاته وكتابات ومقالاته التي تفخر بها المدرسة التاريخية المصرية وفي تقديري ان رؤوف عباس يعد واحدا من شوامخ المترجمين في مجال التاريخ الحديث والمعاصر حيث كان يتقن التدريس والكتابة بالانجليزية كأهلها تماما ومن ثم كان يترجم عنها بسهولة ويسر، تشهد بذلك الترجمات التي اثري بها المكتبة التاريخية العربية والتي كشفت عندما جمعناها الي بعضها عبر سنوات امتدت منذ اول كتاب ترجمه عام 1977 وحتى اخر مانشر له من ترجماته عام 2005.

كشفت عن واحد من شوامخ المترجمين في زماننا، فقد بلغت تسعة كتب ضخمة ضمت الاف الصفحات فضلا عن مراجعة العديد من المؤلفات التاريخية وتقديمه لها بدراسات نقدية ضافية.

ولم يكتف رؤوف عباس بما قدمه من مؤلفات ودراسات وانما كان يستغل فراغه من التأليف العلمي، ليقدم لنا ترجمة رصينة لاحد المؤلفات الانجليزية في مجال تخصصه لايمانه بأن تخصصه الترجمة عامل من عوامل نهضة الامم وتواصلها في الثقافة العلمية، فضلا عن تقديمه خدمة جليلة للمثقفين والقراء الذين تعيهم الترجمة المتخصصة في مجال التاريخ. وفي ظني انه ليس كل من يتقن لغة اجنبية يستطيع تقديم ترجمة للمؤلفات العلمية المتخصصة في هذا المجال او ذاك، وان العالم المتخصص في احد مجالات العلم اقدر من يستطيع ذلك عندما يتقن هذه اللغة فيحسن تقدير اهمية مايقدم علي ترجمته كما ينفذ الي عميق المعاني والمصطلحات فضلا عن تمكنه من ان يقدم لنا نظرة نقدية باعتباره متخصصا في تقديمه لها وهو ما يثري التفكير العلمي باعتباره تفكيرا نقديا.

فضلا عن تحقيق التواصل العلمي مع ما ينتجه الآخرون مما يراكم المعرفة العلمية وتحديثها ويجدها وينهض بالتخصص.

لقد كانت ترجمات رؤوف عباس مثالا يحتذى لجهد العالم المتخصص والمتابع لكل جيد في مجال التخصص والتمكن ليس فقط في مجال علمه بلغة القومية وانما فيما يستجد فيها من لغات الآخرين، انه سليل مدرسة الطهطاوي ولطفي السيد وكل هؤلاء المؤمنين بان الترجمة هي من اهم اسباب نهضة الامم ورفيها.

فلم يكد يتم رسالته للدكتوراة في بداية السبعينيات من القرن العشرين ويسافر الي اليابان في

مهمة علمية، حتى وقع في يده ترجمة انجليزية لكتاب هاتشوما عن هيروشيما والذي يؤرخ لتجربة قصف هيروشيما بالاسلح النووي الامريكي واثاره المدمرة فترجم هذه اليوميات مع شهادات الناجين، واصدرها في كتاب علي نفقته الخاصة 1975 وكان ذلك باكورة ترجماته. وبعد ثلاث سنوات نشر ترجمة رصينة لكتاب موريس دوب دراسات في تطور الرأسمالية '1978' وهو من المراجع المهمة في التاريخ الاقتصادي العالمي التي قدمت نظرية متكاملة للتطور الاقتصادي وقد استغرق نحو ثلاث سنوات في ترجمته لان المؤلف له طريقة خاصة في عرض الافكار واستنباط النتائج تحتاج عند ترجمتها الي استيعاب وهضم تام ثم نقل امين الي العربية وهذا مانجح فيه رؤوف عباس حتي جعل المؤلف وكأنه يخاطب القاريء العربي بلسانه ولم يكتف بترجمة النص الاصلي للمؤلف بل قام بترجمة الحوار العلمي الخصب الذي دار حول الكتاب.

كذلك قدم رؤوف عباس عام 1983 ترجمة لكتاب السكندر شولش عن الحركة الوطنية المصرية في زمن الثورة العربية والتي نشرت تحت عنوان 'مصر للمصريين، أزمة مصر الاجتماعية والسياسية 1878 1882 وهو اطروحة المؤلف التي نال بها درجة الدكتوراة في المانيا وصدر طبعته الانجليزية عام 1981 فقدم مترجمنا رؤية مؤرخ عربي لحقبة مهمة لتاريخ مصر من الزوايا الاجتماعية والسياسية من خلال مصادر قلما نتاح لمؤرخ واحد، فضلا عن موضوعية المؤلف التي لم تتوفر للكتاب الانجليز والفرنسيين.

وفي عام 1990 عهد اليه مركز دراسات الوحدة العربية بترجمته سفر ضخم الفه الاستاذ شارل عيسوي تحت عنوان 'التاريخ الاقتصادي للبلاد الهلال الخصيب 1800 1919 وهو من الاعمال التأسيسية الرصينة في التاريخ الاقتصادي لبلدان الهلال الخصيب في القرن التاسع عشر 'العراق وسوريا ولبنان وفلسطين والاردن' في عصر تكالب المصالح الغربية علي بلدان المنطقة، ويشكل هذا الكتاب حصيلة جهد المؤلف الذي يملك خبرة كبيرة للتاريخ الاقتصادي للمنطقة، ف جاء ليسد فراغا في المكتبة الفرنسية في هذا المجال للتاريخ، وتتضح فيه روح العلم الراقية عندما يترجم دراسة زميلته الدكتورة/ نيللي حنا عن تجار القاهرة في العصر العثماني فينشر الترجمة عام 1997 بمقدمة ضافية تبلور قضية مهمة لاتزال تشغل بال المؤرخين المهتمين بالعصر العثماني وهي قضية النهضة والحداثة في هذا العصر في ضوء المصادر التاريخية الجديدة من وثائق المحاكم الشرعية والمخطوطات وغيرها والتي تخالف المدرسة الاستشراقية التي تجعل نهضة بلداننا تدور في فلك المركزية الاوروبية، كما قدم رؤوف عباس ترجمة لكتاب نيللي حنا التالي عن 'ثقافة الطبقة الوسطي في مصر العثمانية' بين القرنين 16، 18 تلك الترجمة التي صدرت عام 2003 مشيرا الي ان تاريخ الثقافة من المجالات المهمة في البحث التاريخي وهو ماتفتقر اليه المكتبة العربية تأليفا وترجمة . واذكر انني سألته صيف عام 2001 ما الذي تترجم الان ففاجئني بقوله انه يترجم مذكرات السير رونالد ستورس التي صدرت عام 1937 والمستشار الشرقي للسفارة البريطانية في مصر والحاكم العسكري للقدس، والذي لعب دورا خطيرا في توجيه صناعة القرار الخاص بالسياسة البريطانية في المنطقة من خلال موقعه كخبير للشئون العربية وهذا الكتاب يعد مصدرا تاريخيا مهما لانحسب ان باحثا في الشئون العربية لم يطلع عليه وان يفيد منه ورغم ذلك لم يقدم احد علي ترجمته لضخامة حجمه '611 صفحة' وصعوبة اسلوبه وحساسية ما يتناوله من امور، ولكن استاذنا اقدم علي ترجمته ونشره في المشروع القومي للترجمة عام 2004 تحت عنوان 'توجهات بريطانية شرقية'.

وفي عام 2005 صدرت له عن المشروع القومي للترجمة كتابان غاية في الاهمية اولهما كتاب دونالد ريد 'فراغنة من ؟ دراسة في علم الاثار والمتاحف والذي قدم دراسة جديدة في تاريخ الثقافة المصرية، يؤرخ لعلم المصريات وصلته بالهيمنة الامبريالية، ويدحض الفكر التي رددتها الكتابات الغربية بشأن عدم احقية المصريين باثار بلادهم باعتبارهم لا يقدرين قيمتها فيرصد المؤلف كتابات الجبرتي والطهطاوي وعلي مبارك عن الاثار عن تاريخ مصر

القديم موضحا وعيهم بالأهمية التاريخية للآثار.. الي اخره، كما اهتم ريد بالتاريخ لرواد علم الآثار المصريين.

وثانيهما كتاب روجر اوين عن اللورد كرومر، الامبريالي والحاكم الاستعماري والذي صدر بالانجليزية عام 2004 وتكمن اهمية الكتاب في انه يؤرخ لكروم الذي كان الحاكم الحقيقي لمصر 19071883 ورغم اشارة رؤوف عباس الي أهمية الكتاب ومصداقية المؤلف الا انه انتقد منهج المؤلف باعتباره سرديا لايتسم بالتحليل، كما انه اغفل ما انتجه المؤرخون المصريون مما حرمه من ابراز وجهة النظر المصرية في سياسات كرومر..

ومن المهم ان نلفت النظر الي المقدمات النقدية التي قدم بها رؤوف عباس ترجماته والتي تكشف النظرة العلمية العميقة تحسن تقدير قيمة العمل المترجم ولاتيدي خضوعا من نوع ما لما يترجمه بخبرة استاذ متميز ومثقف رفيع القدر، جزاه الله عما قدم لمواطنيه وامته من علم نافع وخير عميم، وانزله منازل الصديقين والشهداء وحسن أولئك رفيقا .

<http://akhbarelyom.org.eg/adab/issues/782/0300.html>